حَسْبِيَ اللَّه!

الكاتب : سلمان العودة

التاريخ : 30 مارس 2015 م

المشاهدات : 4618

طفلاً كنت حينما سمعت رجلاً من أصدقاء أبي يقول: "وجعلنا لكل شيء سبباً"، وينسب النص للقرآن الكريم، وسارعت دون مقدمات بالقول: إن هذا ليس قرآناً، فحرَّك الرجل رأسه قائلاً: إن الجيل الجديد لا يريد أن يبقي شيئاً مكانه حتى القرآن!

لكل شيء سبب، والله قبل الأسباب ومعها وبعدها وإن شاء عطل السبب، وإن شاء أعطى بلا أسباب وبلا حساب!

لا تعتمد على الجدار فإنه ينهار، ولا تعتمد على المخلوق فإنه يموت.

التوكل يعني أن تعظم ثقتك بالله، وأن تنظر إلى الخلق على أنهم أدوات أو وسائط لإنفاذ القدر.

يعني طمأنينة القلب بموعود الله مهما كانت المعطيات القائمة لا تشير إلى ذلك بوضوح.

يعني التبرؤ من الحول والقوة إلا بالله، وما لديك من طاقات ومواهب ومنح فهي فضله الذي ابتلاك به لينظر كيف تعمل؟

التوكل هو سبب الأسباب وسر نجاحها.

التوكل يسكب في القلب الرضا بالقدر، والقبول بالنتيجة ولو كانت على غير ما أحب وأهوى.

التوكل يعني الإيمان الواحد الذي يغير ولا يتغير، ويحدث من لطفه ما لم يكن في الحساب.

التوكل يصل الروح بالله المدبر فوق سماواته، والذي قد يعطي بصورة المنع، وقد يمنع في صورة العطاء.

التوكل ليس قعوداً ولا جبرية ولا هروباً من الواقع، وليس كما قال أحدهم:

لا تُدبِّرْ لك أمراً *** فأولوا التدبيرِ هلْكى

سلّم الأمر تجدنا *** نحنُ أولى بِك مِنكا

كلا؛ بل البداية منك فعلاً ومسارعةً وسبقاً ومبادرةً ومدافعةً وتقرباً ودعاءً وسيراً، وهو معنى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، ثم بعده تكون الاستعانة وطلب المدد والعون (وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، ومن ذلك (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (60:غافر)، (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ {10}

أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ {11}) (الواقعة).

التوكل جزء من جوهر الإيمان والإسلام؛ (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ {84}) (يونس).

التفات القلب إلى الأسباب حجاب عن رب الأرباب! ثم سبب متيقن كالأكل والشرب لدفع العطش والجوع، وسبب غير متيقن كتعاطي الدواء، وسبب وهمي لا يسنده عقل ولا نقل ولا تجربة؛ كالتشاؤم والتطير.

التوكل يورث الاعتزاز بالله؛ (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {49}) (الأنفال)، فهو الرزَّاق، والشافي الكافي، والمحيي، والناصر، والحافظ، والرافع الخافض (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ {29}) (الرحمن).

التوكل يساعد على تعاطي الأسباب بحماس وإصرار وتكرار، ولكن بهدوء نفس وسكينة، فهو دواء حاسم للقلق والخوف من النتائج والضغوط النفسية المدمرة.

التوكل يعزز الأمل حتى في الظروف الصعبة؛ لأنه يربط القلب بالله القادر الذي لا يعجز، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، الحي الذي لا يموت، الحكيم الذي لا يقع في كونه وخلقه عبث، العالم الذي لا تخفى عليه خافية، ولذا كان قرين الربوبية؛ (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً {9}) (المزمل).

لا تتوكل على الفقراء، وكل البشر كذلك، مهما مروا بحالة انتشاء وتضخم فهم ضعاف، ولو أخلصوا لك فربما أرادوا أن ينفعوك فضروك، وأن يحسنوا فأساؤوا، وهم لا يدركون المصالح على حقيقتها، ولا يعلمون الغيب، ولو علموا الغيب لاستكثروا من الخير وما مسهم السوء في أنفسهم، وهم يمرضون، ويموتون، ويفشلون، ويخفقون، ويكتئبون، ويتضجرون، ويتغيرون، وينشغلون، ويمنون!

لا توكل إلا بصبر لا يعجل ولا يتذمر ولا يسوء ظنه بربه مهما تراكمت المشكلات وادلهمت الخطوب؛ (الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {42}) (النحل).

كلما ضاقت عليك فردد: (حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ {173}) (آل عمران)، الكلمة التي قالها إبراهيم الخليل حين ألقي في النار فصارت عليه برداً وسلاماً، قلها لتكون نيران المحنة عليك جنة من الرضا والنعيم.

الكلمة التي قالها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه حين قيل لهم: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ {173}) (آل عمران).

قلها كلما تعاظمت المعوقات والأخطار في طريقك لتنقلب بنعمة من الله وفضل لا يمسك سوء.

حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

الإسلام اليوم

المصادر: